المرأة في حياة وأدب العملاق

لغز محير!

لطالما كان وسيظل عباس محمود العقاد شخصية مثيرة للجدل ، جديرة بالإعجاب ، عصية على الفهم . يستصعب الناس كتبه ومقالاته حتى وإن لم يسبق لهم قراءتها قبلا . كنت واحدة من هؤلاء حتى قرأت للعقاد وحازت كتبه على إعجابي وتقديري ، وأعجبتني فلسفته وأفكاره . والمرأة كائن وموضوع يستحيل تجاوزه أو إغفاله في الأدب العربي بصفة عامة أو حينما يتعلق الأمر بالعقاد بصفة خاصة .

المرأة في كتبه:

تباينت آراء العقاد عن المرأة فهو تارة مدافع وتارة مهاجم . وهنا عرض لبعض آرائه وفلسفاته عن المرأة في كتبه:

يذكر في كتابه **"أنا"** :

"إن النظرة إلى المرأة هنا هي مقياس النظرة إلى الحياة . فإنك لا تسخط عليها إلا لأنك تكبرها ، ولا تترك السخط عليها والسخرية منها إلا لأنها هينة عليك ، حقيرة في عينيك . الزوجة تغضبك وتقيمك وتقعدك ولكن البغي المستباحة لا تثير منك غضبة ولا تكلفك عناية ".

وقال كذلك:

"العَلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة حرب ودية: تجمع بين أمتع ما في العداء من لذة الانتصار ، وأمتع ما في الصداقة من لذة الألفة والمعاونة".

ويرى العقاد أن :

"المرأة التي تملك إرادتها أقل عنادا وأسهل مقادا من المرأة المسلوبة الإرادة في عهد الاستعباد. لأن العناد في الواقع إنما هو احتجاج المرأة الفطري على سلب إرادتها فإذا زال الاستعباد زال الموجب للاحتجاج وزال العناد."

وقال كذلك _ **وتعد هذه الكلمات من آخرما كتب العقاد** _ فلم تنشر هذه الكلمات في صحيفة أو كتاب:

"المرأة تخاف الرجل الذي يمضي مع غضبه . وتخاف أكثر من الرجل الذي يملك غَضبه. وتخاف أكثر من هذا وذاك الرجل الذي يملك غضب الآخرين ويسيطر عليهم وهم غاضبون " .

نساء في حياته:

والدته:

أحب العقاد والدته حبا جما . فقد كانت ذات شخصية متفردة بين فتيات ونساء زمانها : منعزلة ، ومحافظـــة ، ومتدينة كما وصفها في كتابه "أنا" . وحكى أنها لم تنكر عليه إلا كثرة الورق والكتابة ، وكانت تراهما مشغلة له عن الزواج . فاعتاد أن يجيبها العقاد بقوله : "لو وجدت لي زوجة مثلك تزوجت الساعة".

مي زيادة:

كانت علاقته بمي علاقة طيبة وراقية ، اصطبغت بطابع أدبي ، وقد بادلته مي كل احترام وتقدير . ولكن حب امرأة كمي زيادة على أي حال أمر شديد التعقيد ، فقد أحب مي رجال وأدباء كثيرون ، ولكن قلبها كان معلقا بحبيب وحيد ألا وهو جبران خليل جبران ، فلم تعشق في الحقيقة غيره ، ولكن لهذا قصة أخرى!

ويظهر رقي **العقاد** في أحد رسائله إلى **مي زيادة** :

سيدتي الآنسة،

شكرك لـــي علـــى الأبيات التي تفضلت بقبولها نعمة من نعم السماء ، وابتسامة في فـــم الحياة . أتمنى لك من السعادة بقدر ما بعثته في نفسي وبثثته في جوانب قلبي .

وإني أبصرك الساعة بين الماء والسماء فأشعر بوجود الله حقا ، لأنني لا أستطيع أن أعرف قوة غيره تحمل ذلك المهد السابح الذي أتمثلك فيه طفلة وادعة في أحضان ذلك الحنان السرمدي العظيم.

وليست هذه أول مرة أذكرك فيها بين معاهد البلاد الغائبة وظلال الأزمنة القديمة . فقد ذكرتك في أسوان وذكرتك عند عرش إله النيل ومعبد إيزيس . فهل ستذكرينني ؟ إنني آمل وأتوسل . بل إنني واثق أنك ستذكرين ! واثق كل الثقة وسعيد كل السعادة بهذه الثقة الغالية . فلا تنسي يا آنسة ، واعذري ولا تشتدي علي ! ولك مني أعز وأصفى ما ترسله نفسي إلى نفس من تحيات الشوق والرجاء والعطف والشكر والاحترام .

عباس محمود العقاد،

أول يوليو عام 1925

حبيبة خانته بالغيب!

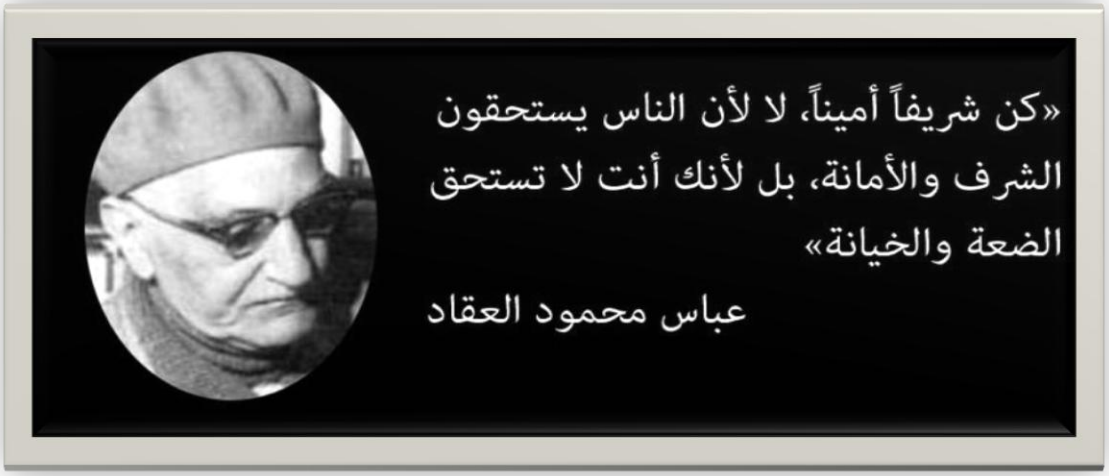

أحب العقاد أحد النساء حبا شديدا ولكنها خانته فأورثته خيانتها جرحا عميقا لا يندمل البتة . وكانت سببا رئيسا في عدواته للنساء رغم إنصافه لهن في فلسفته وبعض كتبه مثل "المرأة في القرآن" . وقد أورد تفاصيل تلك الحبيبة وقصة خيانتها له ذلك في روايته الشهيرة "سارة" . كمـــا ذكر كثيرون ممن عرفوه بأنها كانت سببا رئيسيا في عزوفه عن الزواج أو وقوعه في الحب مرة أخرى . لما اطلع العقاد على خيانتها تلك الفتاة له ، قرر هجرها وتألم كثيرا لذلك وكتب لها هذه الرسالة:

"ولكني أقول لك وأنا آسف : إن فقدك لم يكن هينا علي في وقت من الأوقات كما هو هين علي الآن ، فإذا كتبت إليك هذه الكلمة ، فإنما هي كلمة صديق يريح ضميره ، وواجب أخير لابد من أدائه . وإذا أبيت إلا أن تفهمي لها معنى من معاني الأنانية ، فافهمي إذا أنها كلمة إنسان يذكر برهة من حياته ، ويود أن يحتفظ بهذه الذكرى نظيفة شريفة إلى آخر أيام الحياة" .

وكان هذا فراق بينه وبينها!

هل اعترف العملاق بالحب ؟!:

المرأة في حياته كائن مثير للجدل ، باعث للحيرة تماما كشخصه هو ! فحين تراه يحكي عن أمه صفاته وحبه لها وما ورثه عنها ، أو تقرأ أحد رسائله لأديبة كمي زيادة ، أو حتى تقرأ في فلسفته وتحليله لطبيعة

وكينونة المرأة في كتابه "المرأة في القرآن" ، فإنك تكاد تجزم أنه للمرأة محب ولهان! ولكنك حين تقرأ كتابا كـ "سارة" وتعرف تفصيل قصته مع المرأة الوحيدة التي أحبها بصدق حب الرجل للمرأة وخانته ، تكاد تجزم بأن المرأة لا تتعدى بالنسبة له كونها عدو لدود! وهكذا حرت في الإجابة على هذا السؤال ، واكتفيت بما قرأته من تحليلات وفلسفات العقاد عن الحب والمرأة معا:

فيقول :

"إذا باليت بشئ غير المرأة التي تحبها فأنت في رأيها لا تحبها ، وقد تتهمك بجهل الحب أو جمود الطبيعة أو فقر الفؤاد . وحجتها في ذلك أنها هي إذا أحبت لا تبالي بغير الرجل الذي تحبــه ، فلماذا لا تطالبه بمثل ما تعطيه ؟ وهذا هو الخطأ ! لأن المرأة إذا أحبت وهبت نفسها ، ومن يهب لا يحق له أن يحتفظ بشئ مما وهب ! أما الرجل فهو آخذ وهو يعطي المرأة بمقدار ما وهبته ويُبقى عنده بعد ذلك ما يملكه ويحتفظ به ويباليه" .

ويذكر كذلك :

"وقد يخلو الحب من كل شئ إلا من شئ واحد وهو الاهتمام . فصدِّق إن قيل لك إن حبيبا يبغض حبيبه ويؤذيه . وصدِّق إن قيل لــك أن حبيبـــا يتقبل من حبيبـــه البُغض والإيذاء . وصدِّق إن قيل لك إن المحب يخون أو يقبل الخيانة من المحبوب . فأما إن قيل لك أن حبا في النفس بغير اهتمام فذلك هو المُحال الذي لا يقبل التصديق " .

ويذكر في روايته "سارة" :

"بل نسي أن الرجل حين يحب المرأة فإنما يريدها هي ولا يريد ما هو أجمل منها ، وإنما يحسها ويحس بها لأنها هي هي ، لا لأنها امرأة لا فارق بينها وبين سائر النساء".

ويعرَّف العقاد الحب بقوله:

"إذا ميز الرجل المرأة بين جميع النساء ، فذلك هو الحب . إذا ميز الرجل المرأة لا لأنها أجمل النساء ، ولا لأنها أذكى النساء ، ولا لأنها أوفى النساء ، ولا لأنها أولى النساء بالحب ، ولكن لأنها هي هي بمحاسنها وعيوبها ، فذلك هو الحب" .

وهكذا تظل علاقة العقاد بالمرأة أو الحب لغزا! فحين تقرأ للعقاد ، تستشعر في صفحات وكلمات كتبه معاني وأحاسيس الحب . ولربما إذا أمعنت النظر في نفس الصفحات وقرأت عبارات وكلمات أخرى أو حتى الكلمات نفسها ، للمست مشاعر الكراهية والاشمئزاز ضد المرأة! وقد حول هذا الأمر كثيرا من الذين عاصروا أو قرأوا لعقاد إلى مؤيدين ومعارضين له في آن واحد كما كان هو للمرأة... بيْن بيْن!